التفسير الحرفي للكتاب المقدَّس – مدرسة أنطاكية–: النشأة والمنهج

الطالب الدكتور: ياسين النوي
مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة

مقدمة:

أي محاولة تفسيرية تحمل في طياتها معان متداخلة من حيث مدلولاتها، كالفهم والشرح والتعبير والكشف عن الغموض وإعلان المحتوى بعد تحليله وحتى الترجمة.لم يخرج آباء الكنيسة الأوائل عن هذه المفاهيم في ممارساتهم التفسيرية بنيّة استقاء العقائد واستيعاب قصد الإله من خلال كلماته، وقد اهتمت مدرسة أنطاكية اللاهوتية بتفسير الكتاب المقدس على غرار مدرسة الإسكندرية الرمزية لكنها اتخذت لنفسها منهجا مغايرا لنظيرتها في الإسكندرية، وبدايات التيار التفسيري الحرفي كانت مع لوقيانوس الأنطاكي الذي يُعتقد أن الفضل يعود له من حيث تأسيسها، وبلغت أعلى مستويات عطائها العلمي أيام ديودورس الطرسوسي، والميزة اللافتة لهذه المدرسة تظهر جليا في شدة تمسكها بمنهجها الحرفي حتى صار تقليدا متوارثا بالرغم من أن نتائجه آلت إلى مخالفات عقدية جسيمة في جوهر الإيمان المسيحي، وفي هذا الإطار تتزايد الرغبة للكشف عن تاريخ هذه المدرسة والظروف التي نشأت فيها ودوافعها، والبحث في أصولها الفكرية التي شكّلت منهجها وتحليل طريقة تطبيقه على النصوص، وكذا التداعيات التي ترتبت على ذلك، لاسيما وأن المنهج الحرفي قد ساهم

بشكل جريء في أحداث ما يسمى بعصر الجدالات المسيحية، فالكنيسة الجامعة لم تعرف الاستقرار في القرون الأولى لأن النزعة الحرفية فرضت نفسها على الساحة اللاهوتية بقوة، وتقريبا لم يكن للكنيسة شغل آخر غير الاهتمام بالرد على الهرطقات والبدع التي أثارها الحرفيون حول عقيدة التثليث وطبيعة المسيح وغيرها من خلال المجامع المسكونية، واللاهوت الدفاعي.

من البديهي أن يرتبط تفسير الكتاب المقدس بتحديد الصيغ العقدية للمسيحيين التي ارتبطت هي الأخرى بتاريخ الانقسامات الكنسية وظهور الطوائف والفرق، والرجوع إلى المناهج المعتمدة في فهم نصوص أسفارهم يوضح أسباب الانشقاق ومدى تأثير المنهج الحرفي في تطور العقيدة المسيحية في إطارها التاريخي، وفيما سيأتي سنحاول التعرض باقتضاب لأحد المناهج التفسيرية التي أثرت بشكل كبير على مسار الدين المسيحي في نقاط ثلاث:

– أولا: أنطاكية المدينة التاريخية.

–ثانيا: المدرسة الحرفية الأنطاكية (النشأة والمنهج)

– ثالثا: من أبرز رواد مدرسة أنطاكية.

أولا: أنطاكية المدينة التاريخية

1–مدينة أنطاكية Antioche (ثاوبوليس):

يرتبط اسم سلوقس الأول نيكاتور (358ق.م–281ق.م) –خليفة الإسكندر المقدوني– تاريخيا بمدينة أنطاكية، أسس الدولة السلوقية في 23 من نيسان (أفريل) سنة 300 ق.م، واختار أنطاكية عاصمة لها في 22 أيار (ماي) من نفس السنة أي بعد شهر تحديدا من إقامة دولته، وقد سماها أنطاكية تيمنا باسم والده أنطيوخوس[1] ولا تَقِلُّ مدينة أنطاكية مكانة عن نظيرتها الإسكندرية وروما لأن ذكرها بقي مرتبطا بتاريخ الكنيسة خاصة في القرون الميلادية الأولى، ولحسن موقعها الجغرافي عجّل سلوقس بتنصيبها عاصمة للبلاد، وتتمركز شمالي سوريا بالقرب من مصب نهر العاصي يجتمع حولها نهر الفرات والبحر المتوسط

1– رستم أسد: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج1، د.ط ، لبنان–بيروت، منشورات النور، د.ت، ص14.

وآسيا الصغرى وفلسطين، وكانت قِبلة للتّجار ومركزا لعبور السلع وكل جديد في الأسواق، وقُدّر عدد سكانها في القرن الرابع بنصف المليون[1]، وتميزت أيضا بالتّوافد المكثّف والمستمر للزائرين والسياح من كل أقطار العالم اليوناني والروماني قصد المشاركة والاستمتاع بالألعاب الأولمبية، إضافة لجمالها الذي دفع المؤرخ إميانوس مارسيلينوس الأنطاكي لإطلاق اسم "تاج الشرق الجميل" عليها، وأول ما يظهر من المدينة قبل ولوجها جبل سيلبيوس Silpiosالضخم الذي يصل ارتفاعه إلى 1500 قدم وهو بمثابة الحصن المنيع حولها من الأعداء، وأهم ما ميزها الحركة التجارية المستمرة فيها وتوافر المقتنيات النادرة ذات الجودة كالأحذية الجلدية والعطور والتوابل والأقمشة[2] وبلغ النمو التجاري والحضاري في أنطاكية تلك الفترة درجة الاستيراد والتصنيع ومن ثمّ التصدير لمناطق أخرى وهذا دليل على أن نسبة اليد العاملة فيها كانت مرتفعة[3] وفي أيام الإمبراطورية الرومانية احتلت أنطاكية المكانة الثالثة في تصنيف المدن، كما شهدت اضطهادا رومانيا شرسا للمسيحيين فيها، ولم يؤثر هذا على مكانتها حضاريا ودينيا وظلت محل اهتمام الأباطرة الذي تعاقبوا وكان قسطنطين الأكبر هو أول من بنى فيها كنيسة بصفة رسمية لتكون أولى بوادر التاريخ المسيحي في الشرق وأنطاكية عاصمة للمسيحية الشرقية، وقد شهدت المدينة أحداثا دينية كثيرة أبرزها النزاعات اللاهوتية المتشعبة وأخرى تاريخية خلال القرون الستة الأولى انتهت بسلسلة الزلازل التي ضربت المدينة وأثّرت في بنيانها، غير أن الدمار الذي لحقها على يد الغزو الفارسي سنة 526م كان أثره أكبر بكثير مما خلفته الزلازل، وبعدما رفعت الدولة البيزنطية يد التبعية عن أنطاكية سنة 638م تركتها منهكة ولم يبق منها سوى تاريخها السابق[4].

1 – عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 205.

2 – جلانفيل داوني: أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير، ترجمة ألبرت بطرس، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت– لبنان، 1968، ص 15–18.

3 – ول وايريل ديورانت : قصة الحضارة–حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، ج3 مجلد 2، د.ط، لبنان– بيروت، د.ت، ص 42.

4 – عزيز سوريال عطية : مرجع سابق، ص 206.

2-تأسيس الكنيسة الأنطاكية:

اعتمادا على آراء الآباء المفسرين-المؤرخين الأوائل يعود تأسيس كنيسة أنطاكية لبطرس الرسول حوالي سنة 34م، أي بعد صلب المسيح بأربع سنوات تقريبا كما أكده المؤرخ أفسابيوس -يوسابيوس القيصري- (265م-340م) في تاريخه، الأمر الذي دفع القديس إيرونيموس (342م-420م) في تعليقه على الفصل الثاني من الرسالة إلى أهل غلاطية لاتهام لوقا الإنجيلي بإهمال دور بطرس كمؤسس للكنيسة الأنطاكية، بينما نجد الأب جون كولسن Jean Colson في كتابه "الأسقف في الكنائس الأولى" يمنح شرف التأسيس لبرنابا دون أي تلميح لبطرس متجاهلا بذلك ما أورده أوسابيوس في تاريخه[1]. ويستند المرجّحون لسبق برنابا في تأسيس الكنيسة الأنطاكية على ما ورد في سفر أعمال الرسل: ((وبلغ الخبر مسامع الكنيسة في أورشليم، فأرسلوا برنابا إلى أنطاكية. فلما جاء ورأى نعمة الله فرح وشجعهم كلهم على الثبات في الرب بكل قلوبهم. وكان برنابا رجلا صالحا، ممتلئا من الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع كبير. وذهب برنابا إلى طرسوس يبحث عن شاول، فلما وجده جاء به إلى أنطاكية. فأقاما سنة كاملة يجتمعان إلى جماعة الكنيسة، فعلَّما جمعا كبيرا. وفي أنطاكية تسمّى التلاميذ أول مرة بالمسيحيين))[2]، زيادة على ذلك يذكرون وصول بطرس المتأخر إلى أنطاكية بعد بولس ومواجهة هذا الأخير له[3]، والظاهر أن بطرس سافر إلى أنطاكية بعد مجمع أورشليم أي بعد 50م أو 51م [4] ، ويؤكد حُجّة الذين ذهبوا بالقول أن برنابا هو المؤسس للكنيسة الأنطاكية كون سفر أعمال الرسل لا يذكر بطرس إلا في مجمع أورشليم.

تشير الوقائع التاريخية أن الكنيسة كانت قائمة قبل مجمع أورشليم، فبعد الجدل والخلاف الذي وقع بين اليهود المتمسحين وغيرهم من الأمم الأخرى داخل أنطاكية حول

---

1 - رستم أسد: مرجع سابق، ص19-21.

2 - أعمال الرسل 11: 22-26.

3 - غلاطية 2: 11.

4 - القمص ميخائيل جريس ميخائيل: مذكرات في تاريخ الكنيسة، www.st-takla.org ، زيارة بيوم 2017/02/02.

مسألة وجوب الختان من عدمه كشرط ديني للتردد على الكنيسة علاوة على تمسكهم بحرمة يوم السبت وبكل ما هو قديم عندهم انعقد على إثره مجمع أورشليم سنة 51م وتصدرت قضية الختان قائمة المحاور المتناولة فيه، والشاهد أن بولس وبرنابا مثلا الكنيسة الأنطاكية بينما القديس بطرس كان من ضمن باقي الحضور إلا أنه أخذ السبق في الكلمة يوم المجمع بالقدس[1].

ولمدينة أنطاكية مكانة خاصة في نفوس المسيحيين و أثر كبير في رسم التاريخ الكنسي لأنها أول كنيسة أممية بعد كنيسة أورشليم، وتعدّ مركز كنائس الشرق عبر التاريخ، وفيها دُعي المسيحيون بهذا الاسم لأول مرة[2]، حتى أنه أُطلق عليها سنة 528م اسم "ثاوبوليس" ومعناها مدينة الله، وفي هذا تعبير عن ارتباط أرض أنطاكيا بالإيمان وأمال ساكنيها أن تحل عليها العناية الربانية خوفا من الزلازل[3].

ثانيا: المدرسة الحرفية الأنطاكية: (النشأة والمنهج)

1– بعد تأسيس الكنيسة لم يتوقف مد الخلاف اللاهوتي في أنطاكية خلال القرون الأولى، فظهرت المدرسة الأنطاكية في أواخر القرن الثالث ويُنسب تأسيسها إلى القديس لوقيانوس (250م–313م)[4]، لم يكن لهذه المدرسة اللاهوتية مبنى خاص يرتاد عليه الطلبة والمعلمون لتدارس اللاهوت كما كان عليه الحال في الإسكندرية التي كان لها السبق في إنشاء مدرسة لاهوتية بمعنى الكلمة، حيث كانت مدرسة أنطاكية مجرد تيار ديني–فكري يهتم بمدارسة وشرح الكتاب المقدس بعهديه مع التركيز على الجانب اللغوي والتاريخي وحرفية الكتاب، بخلاف المنهج السكندري الذي اعتمد الرمزية في التأويل متأثرا بالمثالية

---

1 – إسحاق ساكا : كنيستي السريانية، ط3، سوريا–دمشق، 2007، ص 19–20.

2 – أعمال الرسل: 26:11.

3 – اسحاق ساكا، مرجع سابق، ص 18.

4 – حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر الأجيال، ج1، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 1981، ص 611.

الأفلاطونية[1]، وتذكر المراجع التاريخية أن النزعة الحرفية قد سبق وتبناها ثاوفيلس الأنطاكي (توفي سنة 181م) أواخر القرن الثاني قبل لوقيانوس، أما المؤسس الفعلي للمدرسة هو ديودورس الطرسوسي (توفي سنة 390م) الذي اتُّهم بالتمهيد للنسطورية قبل ظهورها، وثيودورس الموبسوستاتي–المصيصي– (350م–428م) يعتبر الممثّل الأبرز لهذه المدرسة باترولوجيا كما تُنسب إليه البدعة النسطورية هو الآخر قبل أن يدعو إليها تلميذه نسطور(نسطوريس) نفسه[2]، والأمر المشترك بين هؤلاء أنهم استثمروا في فلسفة أرسطو القائمة على أساس سلطة العقل حيث أن كل نظرية أو عقيدة تخالف المنطق هي مرفوضة وبالتالي حافظت المدرسة الأنطاكية على الشرح الحرفي للنص بما يحويه من وقائع تاريخية مع ضرورة الاعتناء بخصوصية لغة الكتاب المقدس وهذا ما فسح المجال للفكر السكندري وجهود أوريجانوس(254م–185م) التفسيرية للتوسع أكثر من منافستها الأنطاكية، غير أن هذا لم يمنع الكنيسة الأنطاكية من إثبات حضورها الديني والتاريخي نظرا لامتلاكها لعدة مقوّمات حضارية على اعتبار أن مدينة أنطاكية أرض تلاقحت فيها ثقافات سريانية(آرامية) ويونانية إلى جانب الحضور اليهودي القوي فيها، وكان يغلب على الوسط النخبوي فيها الطابع الهلليني[3]. وقد أُدرجت أسماء العديد من آباء هذه المدرسة ضمن قائمة "آباء العصر الذهبي"، وأهم الأسباب في عدم رواج المنهج الحرفي الأنطاكي هو تركيزهم على ناسوت المسيح وشخصه كإنسان دون إغفال منهم للجانب اللاهوتي فيه، واعتماد الواقعية في استقاء العقائد وفهمها ببساطة من خلال شروحاتهم الحرفية، وعليه فإن الإطار الأنثروبولوجي لمنطلقات المدرسة الأنطاكية وجودي في أصوله الفكرية، وبحكم التنوع الفكري والثقافي

1 – جاد الله نجيب: تاريخ الكنيسة الغائب–صفحات من تاريخ الكنيسة في القرنين الرابع والخامس للميلاد، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 2012، ص 117–118.

2 – إيميل ماهر إسحاق: الكتاب المقدس أسلوب تفسيره السليم وفقا لفكر الآباء القويم، ط1، القاهرة–العباسية، الأنبا رويس الأوفست، 1997، ص 89–90.

3 – إشارة إلى امتداد الثقافة الهيلينة في سياق الفن اليوناني القديم والعمارة والثقافة، تشير الفترة بين وفاة الإسكندر الأكبر 323ق.م وضم أراضي اليونان الكلاسيكية إلى الجمهورية الرومانية 146 ق.م حيث لم يمنع الحكم الروماني استمرارية الثقافة والمجتمع الهيليني وبقيت تلك المظاهر حتى ظهور المسيحية.

والديني في أنطاكية أيام انتشار المسيحية كان تأسيس المدرسة اللاهوتية يهدف للرد على الهرطقات ومظاهر الوثنية وتمكين الآباء القديسين من التشبّع لاهوتيا وفكريا لصد التيارات المناهضة[1].

2-قانون المدرسة ونظامها الداخلي:

كما أشرنا آنفا أن لوقيانوس هو الباعث للتيار اللاهوتي لمدرسة أنطاكية وقد أخذت هذه الأخيرة شكلها النهائي كمدرسة لها مقر ومبنى خاص أيام ديودورس أسقف طرسوس وصارت تنافس مدرسة الإسكندرية التي تمثل بالنسبة لها حركة فكرية-لاهوتية مضادة من حيث المنهج والأهداف.

كانت القوانين صارمة داخل المدرسة ويشترط في المقبلين عليها العزوبية حتى يتفرغوا لحياة النّسك ودراسة اللاهوت داخل الأسكيتيريون[2] وفقا لنظام داخلي-المكوث في المدرسة طيلة مدّة التكوين- تمتد الدراسة فيها لساعات طويلة في اليوم، وكان الكتاب المقدس هو موضوع الدراسة والمرجع الأساس في آن واحد، إضافة إلى برامج عقدية وفلسفية أخرى قصد تكوين طلبة قادرين على الدفاع عن المسيحية ومواجهة الأفكار والهرطقات الدخيلة، وقد كانت مبادرة ديودور الطرسوسي تحمل في طياتها نية مزدوجة إذ أنه جسّد ما بدأ فيه لوقيانوس وأعلن رفضه المطلق لمنهج التفسير الاستعاري-الرمزي لمدرسة الإسكندرية من جهة أخرى، حيث يقول: (إننا نطلب منهم أن يعرفوا أننا نفضل التفسير الحرفي لنصوص الكتاب المقدس عن التفسير الرمزي)[3] وفي هذا إشارة واضحة لحدة الصراع بين المدرستين وعدم التوافق في المنهج الأمر الذي نتج عنه خلاف كريستولوجي وظهور بدع وهرطقات نسبت للمدرسة الأنطاكية كالنسطورية والآريوسية وغيرها.

---

1 - جاد الله نجيب: مرجع سابق، ص 117-122.

2 - الأسكيتيريون: وهي الدير Hermitage وكانت عبارة عن بناء تقليدي داخل جبل أو صخرة كبيرة يتكون عادة من طابقين يربط بين طابقيه سلالم صخرية، وهو مكان مخصص للتفرغ للرهبنة والعبادة ودراسة اللاهوت، أنظر www.asketerion.com

3 - تادرس يعقوب ملطي: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستّة قرون الأولى، ط1، الإسكندرية-مصر ،كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج، 2008، ص 115.

3–الجذور الفكرية والمنهجية:

في أنطاكية اعتنق الكثير من اليونانيين المسيحية وكانوا متشرّبين بالمنطق الأريسطي القائم على أن العقل هو الحكم وأن الفلسفة هي القناة المعرفية الغير حسية والوحيدة الموصلة إلى معرفة الله. في مرحلة ما بعد الأساطير بدأ أريسطو يطبّق المنهج العقلي في قراءة النصوص حتى يتمكن من التمييز بين ما كتبه الشعراء الوثنيون وأقوال الفلاسفة الذين هم في نظره يمثلون طبقة مميزة من اللاهوتيين، نفس المنهج طبقه اليونانيون بعده على تراثهم وأضافوا عليه الفصل بين الأخلاق واللاهوت الأمر الذي ساهم في تطور الفكر والوعي الديني لدى اليونانيين، وقد لاقى هذا المنهج رواجا كبيرا لأنه اهتم بقضايا الإله والإنسان والكون ولم تسلم الكنيسة حينها من تسلل هذا التوجه بين أوساطها، والتي تُحسب عليها مدرسة أنطاكية من حيث التبعية[1]، وإلى جانب العنصر اليوناني–الأريسطوطالي تأثرت هذه المدرسة في تفسيرها للكتاب المقدس بالمنهج الرابيني نظرا لدخول أعداد كبيرة من اليهود في الدين المسيحي بحكم التواجد اليهودي القوي في أنطاكيا وتمسكهم بالتفسير الحرفي للعهد القديم وبكل ما هو تراثي عندهم[2]، ولا يقل هذا التمسك عن تشبث مدرسة أنطاكية بالمعنى التاريخي–الحرفي للنص فالمعنى العميق عندهم يكمن في الحرف ويحمل كل الدلالات وليس هناك معنى خفي كما نادت بذلك مدرسة الإسكندرية فالرمزية في نظر الأنطاك هي مجرد نظرية وكانوا يسمون هذا المنهج بـ: ثيوريا " θεωρία " Théorie وما لجأ إليه المفسرون في الإسكندرية

مثل أوريجانوس إلا لفك شيفرة الغموض الذي كان يشوب أسفار الكتاب المقدس مثل سفر نشيد الإنشاد والكتب النبوية، وفي حين كانت تجتهد مدرسة الإسكندرية لإيجاد مخرج

---

1 – جاد الله نجيب: مرجع سابق، ص 155–156.

2– انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1999، ص 97.

وربما يهود أنطاكيا آنذاك كانوا يعتمدون منهج مدرسة "بيت شماي" في التفسير نسبة إلى شماي الفريسي وهو حاخام من معلمي المشنا في القرن 1 ق.م، راجع أيضا: –http://shamela.ws/browse.php/book 2074/page–5433

تأويلي للنصوص المقدسة المبهمة نجد أن ثيودورس الموبسوستاتي في تطبيقه للمنهج الحرفي أسقط الكتابات الحكمية في العهد القديم وأكد أن مصدرها إنساني وليس الروح القدس، وعليه ركزت المدرسة الإسكندرية على المعنى الرمزي احتياطا[1] بينما لم يجد روّاد المدرسة الأنطاكية حرجا في تطبيق منهجهم وفهموا الكتاب المقدس على أساس اتحاد التاريخ والتّأمُّل معا في النص الواحد ويمكن وصف طريقتهم في الشرح بالموضوعية لأنهم اعتمدوا على أُسس علمية تمثّلت في المعالجة اللغوية للنص العبري والنص اليوناني، ثم غربلة النصوص بواسطة عقد مقارنات بين المتشابهة والمكررة منها وأخيرا وضع تفسير نهائي مستقى من لغة وتاريخ النص نفسه، وتسمى هذه الطريقة بـ: المنهج النحوي(اللّغوي)– التاريخي Méthode grammatico–historique ، وهذه التقنية الصارمة بدأ تطبيقُها على العلوم في روما ثم انتقلت إلى أنطاكية وغيرها[2] إلا أن الأريسطوطالية خاصة والتقليد اليهودي في التفسير كان له الأثر الأعمق في توجههم هذا. ويرى ديودور الطرسوسي في تعليقه على الرمزية بأن الإنجيل كتاب واضح المعالم وقراءته متاحة للجميع ومن المغالطة قراءة العهد القديم من العهد الجديد لأن هذه القراءة بالنسبة إليه ضرب من المقارنة وليست ممارسة تيبولوجية، إذ أن الرمزيين بالنسبة له أمثال أوريجانوس قد تجاهلوا الأُسس التي ينبني عليها النص الذي يُمثّل مجموع الحروف المتراكبة، وأعطوها تأويلا أفلاطونيا–مثاليا أخرجها من سياقها التاريخي الذي أرادت به الكلمات أن تُحلينا إليه، فمدرسة الإسكندرية أغرقت عالم النص داخل مخيّلة الذات العميقة بما تحويه من خلفيات[3]، ففهم النص أو تفسيره مهما كانت طبيعته تُخضعه طوعا تلك التراكمات التي لا نشعر بها من حولنا حين

---

1 – جورج عوض إبراهيم: تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، ط1، مصر، جورج عوض إبراهيم، 2012، ص 51–52.

2 – باسمة الخوري: التفسير البيبلي بين الأمس واليوم، مقال نشره موقع http://www.albiblia.com زيارة يوم 2017/02/03.

3 – دافيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2007، ص 62–63.

نبذل جهدا تأمليا، فالمؤثرات القَبْلِيّة المتشكلة في اللاّوعي هي الحَكَم لصياغة الشرح النهائي ومنطق المنهج المتّبع، وهذا يبرهن أيضا طبيعة المسلك الذي اتبعته مدرسة أنطاكية في تفسيرها للكتاب، فهي لم تخرج من مُركّبات عالمها الأريسطي واليوناني واليهودي، ولعل هناك مركّبات أخرى غابت عنّا، إلا أن ما أوجزنا ذكره يوحي بشبه استحالة وضع منطق واضح يؤول بنا دائما لفهم سليم ونتائج صحيحة إذا ما حاولنا تفسير نصوص الكتاب المقدس.

4–النزعة الحرفية خارج أنطاكية:

كانت ثقافة إنشاء المدارس شائعة في بلاد ما بين النهرين وقد عمل السريان في المنطقة على تشجيع ونشر العلوم بمختلف ألوانها بعد انتشار المسيحية على أراضيها، حيث اهتمت هذه المدارس بعلوم اللغة السريانية واليونانية والفلسفة واللاهوت وكانت مزوّدة بمكتبات، وقُدّر عدد مدارس اللّغة آنذاك بخمسين مدرسة، وأكثر من 21 أخرى خاصة بعلوم اللاهوت والفلسفة، وبلغت أوج عطائها بداية من القرن الرابع[1]. تُعرف هذه الرقعة الجغرافية أيضا ببلاد الرافدين لتواجدها بين نهري دجلة والفرات وتقع في جنوب غرب آسيا وتضم سوريا والعراق وتركيا، وبالتأكيد يشمل هذا التحديد مدينة أنطاكية التي لم تنفرد بتوجهها الحرفي فهناك مدارس أخرى مجاورة اشتهرت بتبني هذا المنهج، مثل مدرسة الرها ومدرسة نصيبين وغيرها من المدارس التي لا يسعنا ذكرها فاكتفينا بأشهرها.

–مدرسة الرها:

نسبة لمدينة الرها أو أورهاي بالسريانية وباليونانية Edessa وتسمى في أيامنا أورفا Urfa تقع في جنوب شرق تركيا ويقال أن النمرود هو من بناها وحكم فيها لمدة[2]، أُنشئت مدرسة الرها في القرن الثاني للميلاد واستمرت في العطاء لغاية القرن الخامس، ومن أبرز قادتها برديصان (154م–202م) ومار أفرام الكبير (توفي حوالي سنة 373م) الذي تولى

1 – إسحاق ساكا: مرجع سابق، ص 77.

2 – يوسف حبي: كنيسة المشرق التاريخ–العقائد–الجغرافية الدينية، د.ط، بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2013، ص191.

إدارة المدرسة ولُقّب بنبي السريان[1] وعرفت المدرسة ازدهارا كبيرا في زمانه، كما اشتغلت المدرسة بقوة في تدريس فلسفة أريسطو إلى غاية تسرب البدعة النسطورية إليها فجاء قرار غلقها على يد الملك زينون سنة 489م[2].

في مدرسة الرها كان منهج التفسير تراثي–آرامي ولا يخرج عن تقليد الآباء والأجداد ويسمى (مشلمانوثا) بمعنى التعليم المتوارث بين الأجيال وضرورة المحافظة على استمراريته، وبعدها تمّ استبداله بالتفسير الثيودوري ليحلّ مكان التقليد الآرامي ولكن مع حتمية المحافظة على مبدأ الاستمرارية والتوارث، وتغير اسمه إلى (مشلمانوثا دربّاني دإسكولي) أي أن المعلم الأول هو من يضع القواعد والمنهجية وعلى بقية المعلمين التقيّد بالتقليد وتلقينه للطلبة دون تصرف، أما من ناحية التطبيق فلا يختلف الرهاويون عن مدرسة أنطاكية في اعتماد الأسس العلمية الثلاث في التفسير الحرفي القائمة على التدقيق اللغوي ومقارنة النصوص ثم استخلاص المفاهيم، ومع ما ذكرنا فإنه يتبادر للذهن أن مدرسة الرها هي نسخة كربونية عن مدرسة أنطاكية لكن في الحقيقة التاريخية يوجد اختلاف في المرجعية المعتمدة، فمار أفرام مثلا لم تكن الفلسفة الأريسطوطالية هي الخلفية الفكرية التي انطلق منها في التفسير ولا مدرسة الرها عموما بحكم التقليد الآرامي المحافظ على أسلوبه في التعليم وتغلغل المنهج الرابيني–اليهودي في المنطقة وسيطرته عليها[3]، ومنه فالاختلاف يكمن في أصل المنطلق الفكري للمدرستين رغم تشاركهما فيه. في تاريخ كنائس المشرق تعد مدرسة أنطاكية هي مركز انبثاق المنهج الحرفي إلى غيرها كمدرسة الرها ومدرسة نصيبين كمبادرة توسعية في إطار صراعها الفكري المناهض لمدرسة الإسكندرية الرمزية[4].

–مدرسة نصيبين:

---

1 – فيليب دي طرازي: عصر السريان الذهبي، د.ط، مصر –القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 16.

2 – إسحاق ساكا: مرجع سابق، ص 78.

3 – يوسف حبي: مرجع سابق، ص 284،285،286.

4 – المرجع نفسه، ص 285.

تقع مدينة نصيبين شرق الرها وتأسست مدرستها سنة 326م على يد مار يعقوب (توفي حوالي 338م) أستاذ مار أفرام الذي خَلَف بدوره معلمه الأول في إدارة المدرسة إلى غاية سنة 363م وبعدها انتقل إلى الرها، ولا تختلف في نهجها وأسلوبها عن مدرسة الرها فقد درّس وتتلمذ فيها تقريبا نفس المعلمين والطلبة ونهلوا من مشكاة واحدة [1]بل هي امتداد رهاوي في نصيبين، وتميزت بنظامها الداخلي والقوانين المحكمة حتى صارت بمثابة كلية جامعية حيث بلغ عدد طلابها تقريبا الألف وتناولت شتى أنواع العلوم واستمر نشاطها العلمي لقرابة الثلاث قرون[2]، ويعود الفضل في سن قوانينها الجديدة لنرسي (نرساي) المفسّر –ولد سنة 399م على الأرجح– وذلك بعد فراره من الرها لاجئا إلى نصيبين بسب جمعه بين الثيودورية والنسطورية سنة 471م تقريبا ثم توالت بعده عمليات لجوء الأساتذة بعد تجميد نشاط مدرسة الرها سنة 489م إثر الصراع اللاهوتي بين أنصار "ديودورس وثيودورس ونسطور" ومخالفيهم من أتباع مذهب قورلس (كيرلس) الإسكندري (توفي حوالي 444م) المحاربين للحرفية والنسطورية[3] ونرساي هو من كرّس للتعاليم النسطورية في الرها بعد توليه منصب مدير المدرسة هناك سنة 437م، وبعد اضطهاد النساطرة وهروبه استقر في نصيبين بعدما ساعده صديقه برصوما –برسوما–(حوالي 420م–490م) الذي عُيّن مطرانا على المدينة وحثّه على مواصلة مسيرته العلمية هناك فعكف نرساي على شرح الكتاب المقدس ودراسة اللاهوت والتعليم وكان حرفي النزعة[4]. ومن دون تفصيل في منهج مدرسة نصيبين

---

1 – المرجع السابق: ص 280. انظر ا أيضا : http://www.marefa.org/index.php

2 – إسحاق ساكا: مرجع سابق، ص 78.

3 – يوسف حبي : مرجع سابق، ص 293، 299–300.

مذهب قولس(كيرلس) قائم على فكرة الاتحاد الأقنومي وفكرهم مضاد تماما للنسطورية، راجع:
http://st-takla.org/books/fr-athnasius-fahmy/patrology/cerelus.html

4 – مار نرساي حياته وكتاباته، موقع www.karozota.com يوم 2017/02/06.

فواضح أنها تتشابك مع مدرسة الرها في أغلب نواحيها وبسقف أنطاكي حتى سمّيت بـ: "مدرسة الرها–نصيبين"[1].

–كما اشتهرت مدارس أخرى بمحاذاة مدينة أنطاكية مثل مدرسة دير مار بسوس التي قيل أنه عاش فيها أكثر من ستّة آلاف راهب، ومدرسة دير تلعدا في القرن الرابع، ومدرسة دير الجب الخارجي ومدارس أخرى ضمت العديد من الآباء والقديسين واللاهوتيين[2]. شهدت هذه المنطقة تاريخا مميزا بالثورات العلمية والاهتمام بالعلوم وإنشاء المدارس والفضل في ذلك يعود للحضارات المتعاقبة على بلاد ما بين النهرين وما جاورها.

ثالثا: : من أبرز رواد مدرسة أنطاكية:

عرفت مدرسة أنطاكية اللاهوتية قبل وبعد نشأتها الكثير من القادة المتبنين لمنهجها الحرفي، فمنهم من نظّر لها ومنهم من أسسها ومنهم من كرّس حياته خدمة للتعليم فيها، وجميعهم دافعوا عنها لتبقى أيقونة بارزة في تاريخ المسيحية، وسنورد في ما يلي لمحة عن أبرز روادها الذين تركوا أثرا في تاريخها.

1–لوقيانوس: Lucien (250م–313م)

يقال أنه من سُمَساط –مدينة سورية– ولكنه نشأ في أنطاكية داخل عائلة محافظة، فارق أبواه الحياة وهو في الثانية عشرة من عمره، ليبدأ مسيرته الحافلة بالعلم والعبادة والنسك بعد انتقاله للرها أين تتلمذ على يد القديس مكاريوس Macaire المفسّر، وكان لوقيانوس زاهدا عابدا قاسيا على نفسه حتى أنه لا يقرب دفء النار في الشتاء، وكان لا يتكلم إلا بلسان الكتاب المقدس، سخّر نفسه للتعليم والوعظ بين أوساط الشباب، خاصة بعد تعيينه أسقفا على مدينة أنطاكية، وامتهن النسخ والكتابة لجمال خطه حتى يكسب قوت يومه[3]،

1 – الجمع بين مدرسة الرها ومدرسة نصيبين هو اختيار الأب الدكتور يوسف حبي في كتابه الذي سبق وأحلنا عليه: "كنائس المشرق"، والراجح أنه مصيب في هذا الجمع لاعتبارات تاريخية وفكرية لدى المدرستين، انظر: يوسف حبي، مرجع سابق، ص 280–281.

لتفاصيل أكثر راجع: http://www.ishtartv.com/articles/ashur-albaze9908.html

2 – فيليب دي طرازي: مرجع سابق، ص 16.

3 –Saint Lucien d’Antioche Martyr

ولتمكُّنه من اللغتين العبرية واليونانية قام بتنقيح الترجمة السبعينية بعدما ترجم العهد القديم من العبرية إلى اليونانية وأزاح بعض الكلمات التي رأى بأنها غامضة، وقد ثمّن القديس إيرونيموس جهوده واعتبر أن هذا العمل عظيم وقيّم لا يقدر عليه سوى العباقرة، بينما يراه ألكسندروس بطريرك الإسكندرية أنه من أشد المتأثرين ببولس الساموساطي الهرطوقي[1]، ولذلك اعتبره آخرون المنظّر للآريوسية وأن إيمانه لم يكن يوافق الاعتقاد المسيحي السليم بدليل أن آريوس كان يفتخر بانتسابه إلى معلمه وتبنيه لطريقته ويصرح بأنه "لوقيانوسي"، وكذا الرابط القوي الذي كان يجمع لوقيانوس ببولس الساموساطي المؤمن بطبيعة المسيح الإنسانية ورفضه الاعتراف بالثلاثة أقانيم في الله وبولس هو من استقدم لوقيانوس إلى أنطاكية ونصّبه أسقفا عليها، ويقال أن لوقيانوس تاب وتراجع عن معتقداته السابقة ورجع إلى منصبه كأسقف للمدينة بعد أن كان قد أُزيح عنه[2].

وُلدت الهرطقة الآريوسية في أنطاكية وفي كنف مدرستها اللاهوتية ثم انتقلت للإسكندرية وإلى أماكن أخرى، وتعدّ التعاليم الكريستولوجية الفاسدة –في نظر الكنيسة– لبولس الأنطاكي مصدرا أولا، والتي تبناها لوقيانوس وأضاف إليها الشيء الطفيف ثم علّمها لآريوس الليبي الذي تكفل ببلورتها ونشرها لأقصى حدود حتى صارت مذهبا عقديا يهدد كيان الكنيسة ككل، وامتدت تداعياتها إلى يومنا الحاضر من خلال الانقسامات التي تعيشها المسيحية وطوائفها[3].

أُلقي القبض على لوقيانوس وزُجّ في أحد سجون مدينة نيقوميديا أيام الاضطهاد زمن الإمبراطور مكسيميانوس، وعومل أسوأ معاملة في السجن لكن ذلك لم ينقص من عزيمته في الدعوة إلى الإيمان المسيحي فجمع الكثير من الأنصار وهو في سجنه وأضحى مصدر خطر في عين الإمبراطور فأمر بقتله وإلقائه في البحر يوم السابع من شهر كانون الثاني

زيارة يوم 2017/02/10 http://orthodoxievco.net/ecrits/vies/synaxair/octobre/lucien.pdf

1- جاد الله نجيب: تاريخ الكنيسة الغائب ، مرجع سابق، ص 122.

2- تادرس يعقوب ملطي: مرجع سابق، ص 126.

انظر أيضا: رستم أسد: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، مرجع سابق، ص144-145.

3- حنا جرجس الخضري: مرجع سابق، ص 613-614.

(جانفي) سنة 312م، ويقال أن أحد تلامذته اسمه "غليكاريوس" تمكن من إخراج جثمانه من البحر ودفنه بطريقة لائقة[1].

2–ديودورس الطرسوسي: Théodorus de Tarsus (توفي 390م)

ولد ديودورس مطلع القرن الرابع ميلادي في أنطاكية وتربى في وسط أسري مثقف وثري وهذا ما مكّنه من مواصلة دراسته في اليونان أين حصّل قدَرا لا بأس به من العلوم، وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه تفرغ للعبادة واللاهوت ورُسِّم بعدها أسقفا ومعلما مدافعا عن الإيمان المسيحي، عرفت المدرسة الحرفية الأنطاكية في زمانه استقرارا وثباتا بفضل جهوده التأسيسية وتخرّج على يديه أبرز القادة والقديسين الأنطاكيين مثل يوحنا ذهبي الفم (حوالي 347م–407م) وثيودورس المصيصي، وبحكم تكوينه الممتاز في الفلسفة واللاهوت بالإضافة إلى اللغات كان بمثابة المرجع الديني لمدرسة أنطاكية في قضايا الخلاف والجدل خاصة ضد الآريوسيين حتى لُقِّب "ببطل الإيمان" في مجمع القسطنطينية سنة 381م[2]. لكن دحضه للبدعة الآريوسية لم يشفع له، فالكنيسة نصّبته أبا للنسطورية قبل ظهورها لأنه ركّز على ناسوت المسيح وميّزه عن لاهوته إلى درجة الفصل بينهما ليصير المسيح ذو شخصيتين متباينتين واحدة إنسانية وأخرى إلهية، بمعنى أن ابن الإنسان ما هو إلا وعاء احتوى عملية الحلول الإلهي، وهذا يستلزم نفي أساس مسيحي آخر ثابت وهو تجريد القديسة مريم من تسميتها والدة الإله La Théotokos[3] مع أن هذه التسمية لم تكن شائعة أيام ديودورس، والقديس كيرلس أول من ذهب بالرأي أن هذا كان تمهيدا للنسطورية –بعد خمسين سنة تقريبا من وفاة ديودورس– ولم يكن بالمتناول اتهام ديودورس بالهرطقة ولو بعد موته بحكم مكانته المرموقة ودوره الدفاعي عن الإيمان المسيحي، إلا أن كيرلس واصل بجد محاولاته لإدانته هو وتلميذه ثيودورس الموبسوستي الذي أدخل بدوره على النسطورية تطورات جديدة–قبل ظهورها– ،واستعان كيرلس في حملته ضد ديودورس بالإمبراطور

1– جاد الله نجيب: مرجع سابق، ص 122–123.

2– المرجع نفسه، ص 124–125.

3– علي الشيخ: لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، د.ط، إيران، مركز الأبحاث العقائدية، 2007، ص 179–180.

بروكلوس غير أن جهوده لم تؤت أكلها خاصة بعد أن أخذ المذهب النسطوري شكله النهائي وتعاظم مع نسطور، تأسست الكنيسة النسطورية بعد ذلك وامتدت لقرون ومازالت ليومنا هذا[1]. ترك ديودورس مؤلفات كثيرة جدا وفي مواضيع متنوعة كعلم الفلك والتفسير والعقائد ولم يبقى منها إلا الشيء اليسير بسبب إتلافها بعد الحكم عليه بالهرطقة غيابيا وتحريم تداول كتاباته سنة 449م على يد فلافيان الثالث بطريرك أنطاكية ليأتيَ التأكيد بهرطقته بعدها في المجمع المسكوني الخامس للروم الأرثوذكس بالقسطنطينية سنة 553م[2].

3– ثيودورس الموبسوستاتي(المصيصي): Théodore de Mopsueste(350م–428م)

ينحدر من عائلة أرستقراطية أنطاكية مرموقة، فقد كان أبوه شخصا بارزا في المدينة وعُيّن أخوه أسقفا على مدينة أباموس، وابن عمه بائنويوس كان يشغُل منصبا حكوميا حساسا في القسطنطينية، تعلّم الفلسفة والأدب على يد ليبانوس الفيلسوف رفقة صديق دربه يوحنا ذهبي الفم واستمرت زمالتهما إلى ما بعد التخرج من مدرسة أنطاكية، وهناك تتلمذا على يد ديودورس الطرسوسي وكان ثيودورس من أبرز أبناء المدرسة تمكُّنا وتبَنِّيا للمنهج الحرفي في تفسير الكتاب المقدس، وظل ست وثلاثين سنة أسقفا لمدينة موبسيوست[3] وذلك منذ سنة تعيينه سنة 382م إلى غاية وفاته سنة 428م، وعلى طريقة معلمه فصل هو الآخر بين ناسوت ولاهوت المسيح ولم يعتمد الاتحاد بينهما وذهب إلى القول بأن هناك اتصال في إطار حلولي بمعنى أن المسيح إله كامل وإنسان كامل في آن واحد، ولهذا أدين بالهرطقة هو أيضا في مجمع القسطنطينية[4].

كان ثيودورس شديد التمسك بالمنهج الحرفي ويعتبر القديس الوحيد تقريبا الذي لم يقبل التفسير الرمزي بتاتا وله مؤلفات تفسيرية كثيرة وعظات تعليمية وردود مثل: تفسير سفر

---

1 – تادرس يعقوب ملطي: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستّة قرون الأولى، مرجع سابق، ص 137–138.

2 – المرجع نفسه، ص 137–138.

3 – جاد الله نجيب: مرجع سابق، ص 125–126.

4– علي الشيخ: مرجع سابق، ص 180.

التكوين، الخروج، صموئيل الأول والثاني، المزامير، أيوب، الجامعة، سفر نشيد الإنشاد الذي لا يعترف بقانونيته، إنجيل يوحنا وهو موجود كاملا بالسريانية، إنجيل لوقا، متى وتقريبا باقي العهد الجديد، إضافة إلى مؤلفات أخرى اشتملت على ردود وعظات: الأسرار، الكهنوت، في الإيمان، ضد مكدونيوس، ضد أونوميوس، ضد من يقولون إن الخطيئة موجودة بالفطرة في طبيعة الإنسان، ضد أعمال السحر، ضد الرمزية، وغيرها من المؤلفات التي أتلف أغلبها، وقد تصدّر ثيودورس قائمة رواد مدرسة أنطاكية من حيث غزارة التأليف واعتمادا للمنهج الحرفي ولهذا تعتبره الكنيسة النسطورية مرجعا أساسا لها ومن أعظم مفسريها على الإطلاق[1].

3–يوحنا ذهبي الفم: (347م–407م) Jean Chrysostome

وُلد يوحنا في أنطاكية، مات والده وهو لا يزال طفلا فسهرت أمه أنثوسه على تربيته ودفعت به إلى مجالس العلم، زاول مشوارا دراسيا مماثلا لمسار زميله ثيودورس كما ذكرنا ذلك سابقا، تفرغ للتعبد والرهبنة لأربع سنوات مما أثر ذلك على صحته ليعود إلى مدينته كشماس إنجيلي سنة 381م وبعدها عيّنه البطريرك فلافيان قسّا ما بين سنة 385م و386م ثم تمّت ترقيته لدرجة أسقف على القسطنطينية سنة 398م أين ذاع صيته بين الناس واشتهر بمواعظه[2]، ومباشرة بعد توليه لمهامه بأمر من الملك أركاديوس[3] خطب في الناس وأوضح لهم أن هدفه الأسمى هو أن يصير جميع سكان القسطنطينية مسيحيين وأن يشملهم الخلاص الإلهي، وسرعان ما حوّل يوحنا البيت الأسقفي من قصر إمبراطوري فاخر إلى بيت راعي الشعب فقد باع جميع الأواني الذهبية والفرش الحريرية والسجاد وكل مظاهر الترف المبالغ فيها وصرف جميع الخدم وشيّد بثمن كل ذلك مستشفى لرعاية الفقراء،

1– تادرس يعقوب ملطي: مرجع سابق، ص 140–142.

2– المرجع نفسه، ص 145.

3– أركاديوس(377م–408م) بن ثيوضيوس، حكم الشق الشرقي من الإمبراطورية الرومانية وأخوه أونوريوس حكم الشق الغربي، نُصّب على العرش وعمره ثمانية عشرة سنة، كان قصير القامة فاتر الوجه وجبانا لا يصلح للحكم وكان ينصاع لأوامر زوجته أفدوكسية مثل ما حدث بعد ما طاوعته لاضطهاد يوحنا الذهبي الفم ونفيه، واشتهر أيضا بتأييده للآريوسية، أنظر: http://www.marefa.org

وبصنيعه هذا قرأت الطبقة الأرستقراطية توجّه يوحنا ذهبي الفم على أنه تحدّ لهم في حين التفّ حوله باقي الشعب وناصروه بقوة في صراعاته مع السلطة الحاكمة، وفي نشاط آخر لم يدّخر جهدا في محاربة الآريوسية واستعمل ضدّهم مبدأ "المعاملة بالمثل" لأن أتباع آريوس في القسطنطينية بعد منعهم من التجمع في دور العبادة ابتكروا طريقة أخرى فصاروا يجوبون الشوارع مصطفين في خط واحد ويرتّلون الصلوات حاملين الشموع، فدعا يوحنا كافة مسيحيي المدينة أن يفعلوا مثل ذلك مردّدين شعارات وصلوات مسيحية، وقد شاركت الإمبراطورة شخصيا في هذه الممارسة المضادة وساهمت بأموالها لإنجاح هذه الخطوة في محاربة الآريوسية، فأشاد بها القديس يوحنا أمام الملأ مادحا إياها[1]، ولم يتردد القديس يوحنا في مواجهتها يوم أن سلبت الإمبراطورة أفدوكسية زوجة أركاديوس حقلا كانت تملكه أرملة، فتدخل وطالبها بإرجاع الحقوق لأصحابها إلا أنها رفضت ذلك فكان رده أن منعها من دخول الكنيسة يوم الاحتفال بعيد الصلب، فثارت عليه الإمبراطورة وفتحت عليه جبهات المعارضة، وساعدها في ذلك البابا ثاوفيلس الإسكندري فتحجّج بهرطقته واتهمه بتبني الأورجانية كذريعة لإدانته وانتقاما منه لنفسه بعدما آوى يوحنا الرهبان الأربعة–المعروفون باسم الإخوة الطوال– الذين فرّوا من مصر نتيجة اضطهاد ثاوفيلس لهم، فأمر الإمبراطور بنفيه إلى القوقاز بأرمينيا جرّاء ما حدث[2].

فيما يتعلق بفهمه للكتاب المقدس كان يوحنا يبتعد قدر المستطاع عن الرمزية ويفضل التفسير الحرفي لأنه أكثر دقة ووضوحا في وجهة نظره، واعتمد الرمزية في مواضع متعددة أغلبها في المواعظ والممارسات الرعوية والنصح، ويرى بأن علم اللاهوت وُضع نظريا قصد تطبيقه والعمل به من خلال الصلوات وإرشاد الناس لتغيير حياتهم بكلمة الله، وله **عظات تفسيرية** كثيرة على أسفار العهدين القديم والجديد، وعظات عقائدية وجدلية: في طبيعة الله التي لا يمكن إدراكها، في المعمودية للموعوظين، عظات ضد اليهود، **عظات أخلاقية:** ضد السيرك والمسرح، الاحتفال بالسنة الجديدة، **عظات في الأعياد والكنسية**، وله مؤلفات أخرى

1- إلياس كويتر المخلّصي: خطيب الكنيسة الاعظم القديس يوحنا الذهبي الفم، ط1، لبان–بيروت، منشورات المكتبة البولسية، 1988، ص 36–37.

2- جاد الله نجيب: مرجع سابق، ص 133–134.

مثل: تعليم الأطفال، في الكهنوت، ضد اليهود، ضد الوثنيين، في الندامة، في عدم تكرار الزواج، .. وغيرها كثير وقد لُقّب بفم الذهب لقوة بلاغته وتمكنه من اللغة في عظاته، إضافة إلى 236 رسالة لا تزال محفوظة لحد الساعة [1].

مات القديس يوحنا الذهبي الفم سنة 407م بعد قصة طويلة –لا يسعنا ذكرها– مع الإمبراطورة أفدوكسية وحقدها عليه وتواطأت مع مجموعة أخرى من القديسين، وكانت آخر كلماته: " المجد لله على كل شيء آمين"[2]. إن مسيرة يوحنا الذهبي الفم حافلة بالأحداث، وما ذكرناه شيء وجيز جدا، فقد اهتم بحياته ومنهجه وفكره الكثير من الباحثين، ولا يزال البحث فيه مفتوحا مقارنة بمساهماته الضخمة في التراث مسيحي.

خاتمة:

لا نبالغ لو قلنا أن القرون الأولى في تاريخ الكنيسة هي مرحلة جدل بامتياز، والقراءة التاريخية تؤيد وتشرح شقا كبيرا في أصول الخلافات اللاهوتية، فمدرسة أنطاكية تولّدت من رحم الصراعات الفكرية ومحاولة التأكيد للشخصية الحضارية لبلاد ما بين النهرين، ونشأتها كانت كبديل ورد فعل لم يخرج عن إطاره التنافسي موازاة مع مدرسة الإسكندرية، وتفسير أسفار الكتاب المقدس في المدرستين كان يحاكي صراعا بين منطق أرسطو ومثالية أفلطون، بالإضافة أن التفسير الحرفي الأنطاكي في تعامله مع النصوص لم تتعد آفاقه المنهجية الحدود التفسيرية اليهودية الرابينية مع الانتباه الشديد للغة النص وتفاصيله السردية التاريخية.

يعتبر المنهج التفسيري الحرفي الذي اتبعته المدرسة الأنطاكية موضوعيا ومبنيا على قواعد علمية على الأقل في زمانها، فديودورس الطرسوسي مؤسس المدرسة وتلميذه ثيودورس مثلا لم يعترفا بقانونية سفر نشيد الإنشاد بسبب عدم وجود مسوّغات تأويلية ولا مكان لمنطق العاطفة في آليات التفسير الحرفي، وقد أثّر هذا المنهج في رسم تاريخ المسيحية ككل وأدى إلى انقسامات كنسية وظهور طوائف ومذاهب كثيرة، كما انعقدت المجامع المسكونية، واضطُهد القديسون أمثال لوقيانوس ويوحنا الذهبي الفم، وأهم ما نتج عن منهج التفسير

1– تادرس يعقوب ملطي: مرجع سابق، ص 145–146.

2– إلياس كويتر المخلّصي: مرجع سابق، ص 47.

الحرفي للكتاب المقدس الخلاف حول طبيعة المسيح ورفض مفهوم الاتحاد الأقنومي (جدل كريستولوجي)، واستقرت التعاليم اللاهوتية الأنطاكية على نظرية الحلول مع التركيز على ناسوت المسيح وأنه إنسان حقيقي حل فيه الإله، وهذا الاعتقاد في شخص المسيح هو حصيلة الدراسة الواقعية–التاريخية للنصوص المقدسة، فمدرسة أنطاكية حين فسّرت العهد القديم حرفيا لم تخرج عن نطاق الوصف لتاريخ بني إسرائيل وخلاصهم بدل التّعرض لشرح أسفاره، وبالتالي واصلوا بنفس طريقة الفهم للعهد الجديد فظهر لهم المسيح التاريخي بكامل طبيعته الإنسانية، وإن صح التعبير فهذه قراءة استنتاجية تكاملية، فاليهود ينتظرون المسيا الموعود من خلال نصوص العهد القديم بينما جاءت البراهين على ذلك في ثنايا أسفار العهد الجديد والمتجسدة في شخص المسيح (يسوع الناصري) في اعتقاد المسيحيي.

وتجدر الإشارة بأن هذا الطرح السطحي هو بمثابة مدخل تاريخي–عقدي تناول نشأة ومنهج المدرسة الأنطاكية اللاهوتية في التفسير، ولعلّها تكون مبادرة متواضعة تُلفِت انتباه المهتمين لخوض غمار البحث بعمق في إشكالات انبثقت من تداعيات التفسير الحرفي للكتاب المقدس كالنسطورية والآريوسية وعقائد مسيحية أخرى معاصرة لابد من الكشف عن أصولها الفكرية عن طريق اللاهوت التاريخي.

المصادر والمراجع

1–رستم أسد: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج1، د.ط ، لبنان–بيروت، منشورات النور، د.ت.

2–عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

3–جلانفيل داوني: أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير، ترجمة ألبرت بطرس، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1968.

4–ول وايريل ديورانت : قصة الحضارة–حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، ج3 مجلد 2، د.ط، لبنان–بيروت، د.ت.

5–حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر الأجيال، ج1، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 1981.

6–جاد الله نجيب: تاريخ الكنيسة الغائب–صفحات من تاريخ الكنيسة في القرنين الرابع والخامس للميلاد، ط1، القاهرة، دار الثقافة، 2012.

7–إيميل ماهر إسحاق: الكتاب المقدس أسلوب تفسيره السليم وفقا لفكر الآباء القويم، ط1، القاهرة– العباسية، الأنبا رويس الأوفست، 1997.

8–تادرس يعقوب ملطي: نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستّة قرون الأولى، ط1، الإسكندرية– مصر،كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج، 2008.

9–عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1999.

10–جورج عوض إبراهيم: تفسير الكتاب المقدس عند آباء الكنيسة، ط1، مصر، جورج عوض إبراهيم، 2012.

11–دافيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2007.

12–يوسف حبي: كنيسة المشرق التاريخ–العقائد–الجغرافية الدينية، د.ط، بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2013.

13–فيليب دي طرازي: عصر السريان الذهبي، د.ط، مصر–القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

14–علي الشيخ: لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام، د.ط، إيران، مركز الأبحاث العقائدية، 2007.

15–إلياس كويتر المخلّصي: خطيب الكنيسة الاعظم القديس يوحنا الذهبي الفم، ط1، لبان–بيروت، منشورات المكتبة البولسية، 1988.

مواقع الانترنت

www.marefa.org
www.orthodoxievco.net/ecrits/vies/synaxair/octobre/lucien.pdf
www.ishtartv.com/articles/ashur-albaze9908.html
www.karozota.com
www.st-takla.org/books/fr-athnasius-fahmy/patrology/cerelus.html
www.marefa.org/index.php
www.shamela.ws/browse.php/book-2074/page-5433
www.asketerion.com
www.st-takla.org